

الباب الثالث والعشرون

في خلق الربِّ تبارك وتعالى بعض الجنان بيده وغرسها بيده تفضيلاً لها على سائر الجنان

وقد اتخذ الرب تعالى من الجنان داراً اصطفاها لنفسه، وخصّها بالقرب من عرشه، وغرسها بيده، فهي سيدة الجنان، والله سبحانه [وتعالى] يختار من كلِّ نوع أعلاه وأفضله، كما اختار من الملائكة جبريل، ومن البشر محمداً ﷺ، ومن السماوات العليا، ومن البلاد مكة، ومن الأشهر الأشهر الحرم، ومن الليالي ليلة القدر، ومن الأيام يوم الجمعة، ومن الليل وسطه، ومن الأوقات أوقات الصلوات إلى غير ذلك، فهو سبحانه [وتعالى] : ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] .

قال الطبراني في «معجمه» : حدثنا مطلب بن شعيب الأزدي، حدثنا عبدالله بن صالح، حدثني الليث. قال الطبراني : وحدثنا أبو الزبياع روح بن الفرغ، حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن زيادة بن محمد الأنصاري، عن محمد بن كعب القرظي، عن فضالة بن عبيد، عن أبي السرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعاتٍ بقيت من الليل، فينظرُ الله في الساعة الأولى منهنَّ في الكتاب الذي لا ينظرُ فيه غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينظرُ في الساعة الثانية في جنَّةٍ عَدَنٍ وهي مسكنُهُ الذي يسكنُ فيه، لا يكون معه فيها أحدٌ إلا الأنبياء والشهداء والصدِّيقون، وفيها ما لم يره أحد، ولا خطرَ على قلبِ بشر، ثم يهبطُ آخرَ ساعةٍ من الليل، فيقولُ : ألا مستغفر يستغفرني فأغفرَ له؟ ألا سائل يسألني فأعطيَهُ؟ ألا داع يدعوني فأستجيبَ له؟ حتَّى يطلعَ الفجرُ»^(١) قال تعالى : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ

(١) أخرجه ابن جرير في «التفسير» ١٣٩/١٥، وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٥٤/١٠، ١٥٥ =

قَرَأَ الْفَجْرَ كَانَ مَشْهُوداً ﴿ [الإسراء : ٧٨] فيشهده الله [تعالى] وملائكته .
 وقال الحسن بن سفيان : حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح قال :
 حدثني خالي عبد الرحمن بن عبد الحميد بن سالم ، حدثنا يحيى بن أيوب ،
 عن داود بن أبي هند ، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ بَنَى
 الْفَرْدَوْسَ بِيَدِهِ ، وَحَظَّرَهَا عَلَى كُلِّ مُشْرِكٍ ، وَكُلُّ مُدْمِنٍ خَمْرٍ سَكِيرٍ » (١) وقد ذكر
 الدارمي والنجاد (٢) وغيرهما من حديث أبي معشر : نجیح بن عبد الرحمن -
 متكلم فيه - عن عون بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن أخيه عبد الله بن
 عبد الله ، عن أبيه ، عبد الله بن الحارث قال : قال رسول الله ﷺ : « خَلَقَ اللَّهُ
 تَبَارَكَ وَتَعَالَى ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ : خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ ، وَكَتَبَ التَّوْرَةَ بِيَدِهِ ، وَغَرَسَ
 الْفَرْدَوْسَ بِيَدِهِ » (٣) ثم قال : « وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا يَدْخُلُهَا مُدْمِنٌ خَمْرٍ وَلَا
 الدُّيُوتُ » . قالوا : يا رسول الله ، قد عرفنا مدمن الخمر ، فما الديوت ؟ قال :
 « الَّذِي يُقَرُّ السُّوءَ فِي أَهْلِهِ » (٤) قلت : المحفوظ أنه موقوف .

قال الدارمي : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ،
 حدثنا عبيد بن مهران ، حدثنا مجاهد ، قال : قال عبد الله بن عمر : « خَلَقَ اللَّهُ
 أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ : الْعَرْشَ ، وَالْقَلَمَ ، وَعَدَنَ ، وَآدَمَ ، ثُمَّ قَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ كُنْ
 فَكَانَ » (٥) .

وقال : رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، والبزار بنحوه وقال : وفيه زيادة بن محمد
 الأنصاري وهو منكر الحديث . و«كنز العمال» (٣٤٠٨) ونسبه إلى ابن أبي حاتم ،
 والطبراني ، وابن مردويه عن أبي الدرداء بالفاظ متقاربة . ومسكنه : أي مسكن يليق بذاته هو
 أعلم به .

(١) أخرجه الديلمي في «الفردوس» (٦٠٣) ، وأبو نعيم في «الحلية» ٩٥/٣ ، وذكره في «كنز
 العمال» (١٣١٨٥) ونسبه لليهقي في «الشعب» ، وابن عساكر .

(٢) النجاد : هو أبو بكر أحمد بن سلمان بن الحسن البغدادي الحنبلي توفي - ٣٤٨ هـ .

(٣) ذكره في «كنز العمال» (١٥١٣٨) وعزاه إلى الديلمي ، ولم نجده فيه ، ونحوه عند عبد الله بن
 أحمد في «السنن» (١١٣٧) عن عكرمة ولفظه : « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَمَسْ بِيَدِهِ إِلَّا ثَلَاثًا : خَلَقَ آدَمَ
 بِيَدِهِ ، وَغَرَسَ الْجَنَّةَ بِيَدِهِ ، وَكَتَبَ التَّوْرَةَ بِيَدِهِ » .

(٤) ذكره في «كنز العمال» (١٥١٣٧) ونسبه إلى الخرائطي في «مساوى الأخلاق» عن عبد الله
 ابن الحارث بن نوفل

(٥) أخرج الحاكم نحوه ٣١٩/٢ عن ابن عمر ولفظه : « خَلَقَ اللَّهُ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ : الْعَرْشَ وَجَنَاتٍ =

وحدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة عن عطاء بن السائب، عن ميسرة قال : إنَّ الله لم يمسَّ شيئاً من خلقه غيرَ ثلاثٍ : خلقَ آدمَ بيده، وكتبَ التوراةَ بيده، وغرسَ جنةَ عدنَ بيده^(١). حدثنا محمد بن المنهال، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس، عن كعب قال : لم يخلقِ اللهُ بيده غيرَ ثلاثٍ : خلقَ آدمَ بيده، وكتبَ التوراةَ بيده، وغرسَ جنةَ عدنَ بيده. ثم قال لها : تكلمي، قالت ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

وقال أبو الشيخ : حدثنا أبو يعلى، حدثنا الربيع، حدثنا يعقوب القمي، حدثنا حفص بن حميد، عن شمر بن عطية قال : خلق الله جنة الفردوس بيده، فهو يفتحها كل يوم خميس، فيقول : ازدادي طيباً لأولياي . ازدادي حسناً لأولياي .

وذكر الحاكم عن مجاهد قال : إنَّ الله تعالى غرسَ جناتِ عدنَ بيده، فلما تكاملتْ أغلقتْ فهي تفتحُ في كلِّ سحرٍ، فينظر الله إليها فيقول : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ . وذكر البيهقي من حديث البغوي، حدثنا يونس بن عبيد الله البصري، حدثنا عدي بن الفضل، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ أَحاطَ بِحائِطِ الْجَنَّةِ لَبَنَةً مِنْ ذَهَبٍ وَلَبَنَةً مِنْ فِضَّةٍ، وَغَرَسَ غَرَسَهَا بِيَدِهِ، وَقَالَ لَهَا تَكَلَّمِي : فَقَالَتْ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ فَقَالَ : طوبى لك منزلَ الملوكِ »^(٢) .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن أبي المشني البزاز، حدثنا محمد ابن زياد الكلبي، حدثنا بشير بن حسين، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خَلَقَ اللهُ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ،

= عدن، و آدم، والقلم . . . » مطولاً وصححه ووافقه الذهبي .

(١) تقدم نحوه .

(٢) أخرجه الديلمي في «الفردوس» (٦٦٤)، وفيه معمر ابن يونس حافظ متهم بالوضع، وأورده السيوطي مطولاً في «الدر المثور» ٣٧/١ ونسبه إلى البزار، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» .

لبنة من درة بيضاء ، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة من زبرجدة خضراء مملأها المسك، وحصاؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران. ثم قال لها . انظري . فقالت : ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ . فقال الله عز وجل : وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل ، ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩] (١) وتأمل هذه العناية كيف [جعل هذه] الجنة التي غرسها بيديه (٢) لمن خلقه بيديه ، ولأفضل ذريته اعتناء وتشريفاً وإظهاراً لفضل ما خلقه بيديه ، وشرفه وميزه (٣) بذلك عن غيره . وبالله التوفيق ، فهذه الجنة في الجنان ، كآدم في نوع الحيوان .

وقد روى مسلم في « صحيحه » عن المغيرة بن شعبة ، عن النبي ﷺ قال : « سأل موسى [عليه السلام] ، ربِّه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : رجلٌ يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول : ربِّ ، كيف وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ؟! فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت ربِّ فيقول له : لك ذلك ، ومثله ، ومثله ، ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت ربِّي ، قال : ربِّ ، فأعلاهم منزلة ، قال أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها ، فلم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشرٍ ومصدقه من كتاب الله : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤) [السجدة : ١٧] .

(١) أخرجه السيوطي في « الدر المنثور » ١٩٦/٦ وعزاه لابن أبي الدنيا في كتاب « ذم البخل » .

والملاط : الطين يجعل بين طبقتي البناء ، وما يطلي به الحائط .

(٢) في هامش الأصل : بيده .

(٣) في الأصل : وتمييزه .

(٤) أخرجه مسلم (١٨٩) (٣١٢) في الإيمان : (٨٤) أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، والترمذي (٣١٩٦)

في التفسير : باب سورة السجدة :

أخذوا أخذاتهم : أخذوا كرامة مولاهم ، وحصلوا عليها .